عواء ذئب في غابة



ليث الصندوق

ليث الصندوق

عواء ذئب في غابة

شعر

طبعة أولى

811/92
ص 949الصندوق ، ليث
عواء ذئب في غابة : شعر / ليث
الصندوق . – بغداد : مكتب السعدون ،
2007 .
ص ، 23سم .
1 – الشعر العربي – العراق
أ . العنوان
م . و
2007/72

ألمكتبة الوطنية (ألفهرسة أثناء النشر)

رقم الأيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
72 لسنة 2007

تصميم الغلاف : ذو الفقار ليث الصندوق

بغداد – الطبعة الأولى - 2007
مكتب السعدون للطباعة والنشر

إبنُ الأرض

أنا طائرة نفاثة من لحم ودم
وقودي الجنون
وركّابي الأحلام
احلقُ في السماء بلا أجنحة
أستعين بساقيّ وذراعيّ
وأحيانا بأهدابي
ألأبنية تصغر حتى تتلاشى
والأشجارُ تصبح أزراراً في معاطفِ الجبال

وجوه أحبابي تتراءى لي
كبحيراتٍ من الزئبق
أحلقُ ساحبا ورائي العالم بخيط
هناك أنهارٌ كحبالِ الغسيل
تُعَلَقُ عليها أثوابُ الزوارق
هناك حقولٌ تنبت المخالبَ والأنياب
هناك نساءٌ
يخفين القبور بأثوابهنّ السود
ويسقين بالدموعِ عظامَ الموتى
لتنبتَ الذكرى صوراً فوتوغرافية
هناك مدافعُ متقابلة
تبصقُ في وجوه بعضها بعضا
فقد أصابتْ عدوى الإنسانِ الحديدَ بالجنون
احلقُ عاليا
احلق وحدي بعيداً
كلا .. معي الزوابعُ والأمطار
اسمعُ غنائي فأقول :
في فمي شعوبٌ تعزفُ على أسناني

كأنها أصابعُ البيانو
أقلبُ طيّاتِ الجبال
كأني أقلبُ كتاباً
أحلقُ حولَ القمم
فهي مقاهي النجوم
أحلقُ عاليا .. عاليا .. عاليا
مهما عَلَوتُ
فعيناي تنظران دائما إلى الأسفل
إلى الأرض التي هي أمّي

ألشعرُ في خَطر

الشِعرُ في خطر
فلتهدُر ِالمدافعُ الصمّاءُ في مسامع الموتى

* * *

الشعرُ في خطر
فلتحرقوا أهدابَكم لتهربَ الأحلام
ولتنتظمْ في السُوط نجماتٌ الضحى
لتجلدَ العميان
ولتخرج ِالثمارُ في تظاهراتٍ صاخبة

ذائعةً بيانَها
ضدَّ جيوشِ القحطِ والأملاح

* * *

الشِعرُ في خطر
فالشعراءُ طاردوا غزالة الأحلام بالمرسيدس
واستنبحوا النجومَ فوق شرفة السُرَاة
ورقعوا بنابهم أحذيةَ الحاكمين
وأقنعوا ثورتهم بالنوم في خزائن البنوك
واكتحلوا بالعمى
المُقلُ النجلاءُ ما عادتْ تَصُبّ الزيتَ في القنديل
شرفاتنا أشرعةٌ محطمةٌ
تغوصُ تحتَ موجةِ الظلام
أيتها الخيلُ التي
تكنسُ أعرافكِ عن مداخل السماءِ أرواحَنا ،
وتكنسُ الهواء

دنستِ الهواءَ أنفاسُ الذي لا يستحقُ الحياة

* * *

الشعرُ في خطر
أظفارُنا تُغمدُ في أعناقنا
قلوبُنا ترفسُ في مَصائدِ الفئران
ألصحفُ البيضاء مثلَ راية الأسرى
تبصقُ عارَ الحِبرِ في الوجوه

* * *

الشعرُ في خطر
ألحانُهُ شوكٌ على وسادة
همومُهُ قلاعُ فحمٍ دونما نوافذ
حُرّاسُهُ ناموا على موائد اللصوص
والعازفون استبدلوا مِعزفهم بدفتر الصكوك

فلتلفظِ المطابعُ الوصيّةَ الأخيرة
ولتضطجعْ مطليّةً بالزيتِ في (مقابر السكراب)
مطعونةً في شرفِ الأحبارِ والأوراق

* * *

الشعرُ في خطر
والوهمُ في خطر
كلاهما يُفرغ في أحشائِهِ مطفأةَ الحريق
كلاهما يَبحث عن أشباحِهِ
داخلَ قنينة خمرٍ فارغة
كلاهما يبيع ثوبَ العيدِ في المآتم

* * *

هانئةٌ نومتنا في كفن
باردةٌ أطرافنا

كأنها قوالبُ الجليد
غنوتنا
مثلُ صفير الريحِ في مقبرة
نستوقف الرياحَ
كي تحملنا في عرباتِ الهشيم
بعد انتهاءِ حفلة التنكّر انتزعتُ وجهي
ملقياً به إلى القمامة
أمّا قناعي
فلقد منحته حَقيَ في ميراث أجدادي

1994

إفتتاحية الختام

عبثاً أتنزّه في هذا الليل
ألأشباح تلملمُ أعينها في السلّة
مثلَ كُراتِ التنس
والريحُ تلفّ على الأشجار أفاعيها
والأرواحُ الهاربةُ من القبر
تكسرُ فوقَ الأرصفة قناني الخمرة

* * *

مَن حَجبَ النجمةَ خلف أصابعِهِ
فشكتْ من حَوَلٍ وعَمى ؟

من ظنّ الأشجارَ شياهاً
فاحتلبَ الأغصان ؟

الظلمةُ تشتدّ ، كأنّ حريقاً
لم يُبقِ من الدنيا غيرَ الفحم
قدمي تتحسّسَُ حافاتِ الحائط
مثلَ عَصَا الأعمى
رأسي يتدلّى
في حوض مملوءٍ بالحبر

* * *

أحفظ أحزاني في صندوق ظلوعي
فيطول الليلُ ، ويصبح دهرا
ويطول الوجد ، فيصبح كفرا
وتخرّ على خدّي عيني
مخلّفةً ذوبَ شموعِ

* * *

أحفظ – من حذر - أفراحي في الأجفان
فيطول علينا أمدُ القضبان
وندبّ على عُكّازين إلى عهد طفولتنا
وبنا توقٌ
أن نتنفّسَ بالعينين الشمس

*** * ***

أدفنُ رأسي في قطن فراشي
كالقاتل وهو يواري أثارَ جرائِمِهِ
لا بأسَ إذن
سأعلقُ عينيَّ على باب الغرفة
وأنامُ بدونِهما ،
كي أمنحَ حُلمي رجلين

ألاعداء الوهميّون

نبيدُ في حقولنا الجرذان
لأنـها تُسلِمُنا في البرد للمجاعة

* * *

ونقتلُ الذباب
لأنّه يهوي على رؤوسنا بمطرقة

* * *

ونقتنص الذئاب في الغابات
لأنـها تتبع في أثارنـا رائحةَ الدماء

* * *

ونبترُ ألأفعى
لأنـها تُذكّرُ الناسين بالمشنقة

* * *

ونسحقُ العقرب ،
ما دمنا نراها وحدها تعترض الطريق
ولو وجدنا غيرها
حتى ولو كانوا ذرارينا
لما توانينا بأنْ نُحَكّمَ السيوف

* * *

وفي الظلام ننصبُ الشباك
ونشحذ الأنيابَ إذ لم تكفِنا المصيدة
ونطلقُ الصرخة َسهماً يُخطئ الندّ ويردينا
ونضرم النيرانَ في أثوابنا
منتظرين دائماً عدوّنا الموهوم .

أعداؤنا لا يفقهون حكمةً
لكل ما نصنعُ من خراب
فالجرذ ، والذبابُ ، والعقربُ ، والأفعى
لم يدرسوا القتالَ في الكليّة الحربية

* * *

لكننا ننسى بأنّ بيننا
من يُظهرون الحنان
لكنهم أقسى على إخوانهم من لدغة الثعبان
وإنهم يفتتون الجمرَ تحت جلدنا
ويثقبون أضلعَ الأموات
كي يُمرّروا فيها مفاتيحهم
وإننا نحضنُهم تحت عباءات الهوى
وإننا نخبز أيدينا لهم أرغفةً
ونرتضي أخطاءَهم كأنها الأمثال

جمجمة من حديد

تحتَ المطارقِ لم ينحطم جسدي
وما علـّقتْ سترتي الريحُ في المدخنة
يدي تعِبتْ
وظهريَ كالقنطرة
أريدُ أطيرُ
وفوقي السماءُ حصى ،
والغيومُ ملاط
عيناي بحثاً عن الضوء تستنجدان بظفرٍ

ومثلُ الحصانِ المطاردِ قلبي

يثير بجسميَ عاصفةً من أمل

* * *

تحت المطارق لم ينحطم جسدي
جمجمتي من حديد
ودمعي يهدر مثلَ السيول
ولسعُ النجوم التي تتساقط
مثلَ السكائر فوقَ جبيني

* * *

وحيدٌ أنا ؟
أم انّ الخرائطَ قد شوّهتها الظنون ؟
غريبٌ ،
فحولي بحارٌ من المقل المطفآت

أوصد خلفيَ باباً ،

وأفتح باباً
قد أتهاوى
كتمثال ملك مُنحّى
أو أتراجعُ كالسيل عندَ القمم
وداخلَ صدري
ما زال يعدو حصانٌ مطارد

ألرجل الذي أكلَ نفسَه

أَحَبَّ آلافاً من المرّات
لم تبقَ من شُجيرة في الليل ما راقصها
حتى العماراتِ
عليها بصمتْ شفاهُهُ قلبين
قد جرّب الجنسَ بدون متعة
كأنّه يسكر من قنينة فارغة
شقّق بالمقصّ في ستارة الشمس طريقَ العمى

وأرجحتْ عواصفُ التشريدِ عينيه

كقنديلين في مقبرة

* * *

ضاجع آلافاً من البغايا
قاتل في أوجارهِ الوحشَ على الجيف
أطلق ألقابَ الدهاقين على أعمدة الكهرباء
ثقّبَ في الجدران ظنّاً أنّ فيها الشهد
توّجَ في غرفتِهِ اللصوصَ
أسياداً على لحافِهِ الهريء
لطّعَ أطباقَ المقاهي
وحصى الأرصفة
ونامَ في (خرائبٍ)
تأنفُ أنْ تبولَ فيها الكلاب

* * *

وبعد أنْ ذرّتْ دقيقَ عُمرهِ مطحنةُ الالتَرحال

لمّا يعدْ يذكُرُ
من نـهر ِنساءٍ
تحته جرى بأمواجٍ من الأوحال
غيرَ التي ماتتْ على أرصفة القهر ، ولكنْ
لم تزلْ رجفتـها في عمره زلزل

ألطريد

يعدو ورائي الناسُ آلافاً
يتزايدون
كأنما عنهم تشققتِ الحفائرُ والحصى
تعدو ورائي النارُ تاركةً مراجلها
ألنارُ : كيسٌ قد تمزَّق عن وحوشٍ
آكلاتٍ بعضها بعضاً
تعدو الدروب : بيوتُها وطلولها
تعدو الجبال كأنها محمولةٌ في شاحنات
تعدو الغيوم ببطنها الإعصار
فلأيِّ أخطاءٍ توحَّدَ خلفي الأضداد

وحدي ، وأخطائي كثار
هي ثروتي

وأزيدها خطأً فآخرَ كالدراهم والحُلى
لكنّ أخطائي أنا لمّا تكنْ أفعى ،
وإن كانت فما لدغتْ سواي

* * *

تعدو الملايين التي
قد خلـّفتْ أوطانها وجذورها
تعدو الجيوشُ
تجرّ كالأسرى المدافع
ومخالبُ الأحقادِ تحفرُ في الجبال
أعدو ومن خلفي الجموعِ
من كلِّ جنسٍ ،
قد نَسَوا ألواًنهم
لاهمَّ يجمعهم سوى صَلبي على عمدٍ

لها قد قطّعوا غاباتهم
وأنا أسائلُ عن ذنوبي

وأنا الذي
أحببتُ حتى هرّأت نارُ الهوى شفتي
وحَضنتُ أشجارَ الخريف
لكي أرافقها إلى نار المواقد
لم أسرقِ النجماتِ من صحن الحساء
لم أكنسِ الأحداقَ كي ألقيٍ بها في مزبلة
وسحائبي ما أمطرت سُمّاً

* * *

تعدو كما الطلقات من خلفي النجوم
فتثقّبُ الأبوابَ والجدران
لكنّ شِعري طائع
لمثاقبِ البرق التي حفرتْ نيوبَ الليل

* * *

يعدو ورائي الليلُ ، والأقدارُ ، والأمواتُ ، والذكرى
والقهرُ ، والأشجارُ ، والفرسانُ ، والجبناء

تعدو العناكبُ ، والمدافع
يعدو ملوكٌ
بعد أن تركوا على المُلك الرعاع
يتساقطون كأنهم رُبطوا معاً في سلسلة
وأظلُّ وحدي راكضاً عمري
رجلاي منشاران يقتطعان أشجارَ الحقول
لاشيء قدّامي سوى قدمي التي تعدو
لا شيء
فالأوراق من يبسٍ
إذا أهوتْ لها صوتُ المدافعِ
وأظلّ وحدي راكضاً عمري
إذ كيف يقتنعُ الطريدُ
بأنَّ في غابٍ أمان ؟

ألغزاة

كانوا هنالك عندما دخلَ الغزاة
تحت الأسِرّة ،
بالوسائد يكتمونَ عُطاسَهم
تحت البساط
كأنهم دودٌ يُنخّرُ في فريسة

فعلى مناكبهم خيول الغزو

تبصمُ بالحوافر مجدَ فرسان الوباء
يتراجعون كأنَّ في أدبارهم أحداقَهم
يثبونَ كالفئران

فوق نفاية الجيش النّهوم

* * *

كانوا هنا
كبقيّةٍ مما تخلفه القوارض من حطام
لم يشهروا ظفراً
ولا غطوا بجفنٍ سَوءَة المغدور
لكنهم من بعد أن عُقِدتْ خراطيمُ المدافع كالحبال
والأرضُ قد بَلعتْ خيولَ الغاصبين
وتناثرتْ ليراتُهم
كحطام بيتٍ من زجاج
خرجوا من الأوحال
مثلَ الدودِ خلفهمو أخاديدُ الهزيمة
عادوا يدقون الطبولَ ،

وينشدون (مَدائِحاً) مثلَ السّباب
عادوا كما خُلقوا عُماةً

يحفرون بعمرنا ثقباً لديدان العذاب

* * *

هم أهلنا
لكنّ أيديهم لها كمّاشةٌ
وعيونهم أهدابُها أسنانُ منشارٍ حديد
هم ليس غيرَهُم الغزاة
فلم تكن لسواهمو صورٌ على مرآة أدمعنا
ندري بأنهمو هنا هُزمُوا
ولمّا يبرحوا طشتَ الغسيل
وبأنهم لم يشهدوا للغزو يوماً
وبأنهم صنعوا من الأوهام جيشاً
دجّجوهُ بخوفِهم
وبأنّ نسراً لم يحوّم فوق سور

وبأنهم هُزموا
بأسيافٍ همو قد صنـّعوها

وبيوتهم لم يخترقها
غيرُ محفار العواصفِ ،
والذبابْ
وبأنهم كانوا أسوداً
تحت لسع السوطِ تنبحُ كالكلاب

أذار / 2001

وحشٌ أليفٌ

هكذا يوماً وِلدتُ
مثلما الوحشُ بعينٍ واحدة
دفّتي معطوبة
فاتجاهي ـ عن أمامي ـ لا يحيد
لم أكن أجرأ أن أبصرَ وجهي في المرايا
وكما المطلوب بالثار
فراشي دائماً تحت السرير
المفاتيح التي تحفظ أسراريَ
ألقيتُ بها في مزبلة

ألضحى كان غريمي
فإذا ما سرتُ في الظلمة ،
تطايرُ من حولي البيوتُ
تهرب الاشجارُ من خيفتها مثلَ الكلاب
والأعاصير التي هبّت على ذاكرتي

شتتتها خطواتُ النائمين

لستُ في الريحِ سوى مَيْتٍ
إلى اليقظة تدعوه الخطايا
فظلالي ـ من ورائي ـ كبساطٍ من عقارب

وعلى رأسي هالات دخان
إعتزلتُ الناسَ كي أحلمَ بالأمن المضاع
باحثاً في ظلمة الأنفاق عن بيتٍ وصحبة

* * *

بعد أعوام نمت لي ثمَّ عين ثانية
فامّحى الفَارق بيني والبشر

وارتضوني
- دونما تزكيةٍ -
في غابهم وحشاً أليفاً
أسحقُ الغرسَ ، فلا أُطرد خلف الأسيجة
أنقع السوط بغلّي
دون أن تبعد عني أوجه المضطهَدين
فخطايا الذئب في الذؤبان ضربٌ من فضيلة

* * *

ذات صبحٍ

فاجأت وجهي في المرآة عينٌ ثالثة
طلعت كالشوكة السوداء من وسط جبيني
كلما حدّقتُ فيها
أطبقت أجفانها مني حياءً
كلما مسّدتها
عصرتْ أهدابُها حفنةَ غيمٍ
هكذا عدتُ إلى الأنفاق أستَسمح شيطان الظلام
صامتاً أنفخ كالتنين في جوفي ناراً

عبر جمراتٍ ثلاث
أرصدُ الأفق - الجليد
كل ما أعرف إني لستُ كالناس
لذا لابدَ أن أهرب من جنتهم
قبعاتي كصحونٍ
وسراويلي التيٍ علقتها فوق حبال الخوف تعدو
كذئابٍ لسعتها في جليد القطبِ آلافُ السياط

*** * ***

بعد أعوامٍ نمت لي ثمَّ عينُ رابعة

تبعتها خامسة
وعلى صفحة جلدي انفتقتْ
كالدُمَّل المجروح آلافُ العيون
بعضها من زحمةٍ يدفعُ بعضاً
فوق صدري
وعلى ظهري ،

وأطرافي ،
وعنقي
فلأهدابي على عريي ثياب

*   *   *

لم يعد في جسدي موضع ظفرٍ دون عين
فأنا أقعى كما النملةِ في فروةً نمر
لم أعد أغفو وفي جسمي جموع الساهرين
ليس لي أن أدّعي حرية التقرير
ما دام على جسمي آلاف العصاة

عندما أمشي على السهلِ كأني فوق كومٍ من كرات
عندما أحزن ألقي (الطوف) كي ينقذنيً
فعلى جسمي صنابير دموع
لم أكن ـ عمري ـ لأرضى برقيب ٍ
فغدا جسميَ ثكناتٍ لجيشِ الرقباء

لم أعد أملك أحلامي وحدي
فلقد وزّعتها بالعدل ما بين العيون

*** * ***

بعد تجريبي لآلاف العيون
وملايين الهموم
ليس لي الرغبة أن أبقي لحاجاتي عيناً
إنني أحسدُ أزرار القميص
لم تعد تورثني الأعينُ من لسعاتها غير الصداع
إنني أمنحها ـ من دون سعرٍ ـ للعُماة

فإذا ما رفضوها
فأنا أعزم أن أفقأها طرّاً لأبقى دون عين
وبذا أبصر ما حولي بكفّي

تجربة شخصيّة

عرفتُ الكثيرَ من الشعراء
بينهم الرافعون الأنوفَ
كأنهمو قد أصيبوا بداء الزّشح

* * *

وبينهمُ الناكرون سواهم
فأفواههم ممسحة

* * *

وبينهم الواعدون
تبين لهم بعد جليهمو جلدة من ذهب

* * *

وبينهم الزائفون
على وسخٍ يلبسون الحرير

* * *

وبينهم الأدعياءُ

من السّوح قد هربوا
وظلـّت هنالك أسيافهم في صراع

* * *

وبينـهم النافخون بأحشائـهم
يتحاشَون رأسَ الدبوس

* * *

وبينـهم الصّاخِبونَ
بأقدامـهم يلبسون الطبول

* * *

وبينـهم الصامتون
يغنـّون تحت معاطفهم

* * *

وبينـهم الطاربون لأصواتـهم

يفزّون من نومِهم صارخين : أعد

*** * ***

عرفت الكثيرَ من الشعراء
وصَبّغتُ في مهرجاناتهم جبهتي كالهنود
وحاربتُ خلف متاريسهم
دون أن أتبنّى قضيّة

ومن كلّ كأس رشفت
لكي يجمعَ السّكرُ بي ما تفرّقَ بين الكؤوس
وها أنا بعد العناء أحدّق خلفي
لقد كان دربي قويماً
ولكنّ عُمريَ بَدّدتهُ في الفروع

ألمجنون

لا أحتاجُ حبالاً
كي اصعدَ حين تنامينَ إلى جفنيكِ
وأغطّ بأكداس من سُحب الأحلام
فجناحاي قويّان ، وأحلامي
إنْ هي ألا أحلام مجانين

*** * ***

لا احتاج دليلاً
كي اتبعَ نحلات الدغل إلى شفتيكِ

فهما حقلا عسل
لا يؤخذ لحْساً بل عضّاً

*** * ***

لا احتاج سلالمَ
كي أتسلّقَ أعلى قمم المجدِ على نهديكِ
وأمدّ على كتفيك فراشي
لأنامَ وأصحو بجوار الشمس
فلقد أدركتُ بأنّي هيهاتَ أحطُّ على ارضٍ
مذ أوحيتِ إليّ بأني مَلِكٌ

ورعاياي السّاسَة والرُهبان

* * *

دَمُنا يدّفقُ من ذاتِ النبع
ليعودَ دفيئاً نحوَ مصبّ واحد

فكلامُكِ كالسّكر تحت لساني
وكلامي حولكِ هالات ُصلاةٍ وتسابيح

* * *

رغم مرارة ما في قلبكِ من دمع
فحلاوة ُكأسينا
تصهرُ أقفالَ معازلنا
من نافذتين بأطرافِ الليل
نُعلنُ أنا بمقام القلبُ من الكون
والأجرامُ تدورُ حوالينا

21 / 3 / 1998

رجلٌ وامرأة

(1)

هل يكفي رجلٌ وامرأةٌ لحكايةِ حُبّ ؟
أم يحتاجان لِحُسّادٍ
وفِراشٍ
وشتاءٍ يتواطأ معْ خمر الحبِّ

على حَرقِ الجَسَدَين

(2)

هل يكفي رجلٌ وامرأة لحكاية حبٍ ؟
أم يحتاجان لِنافذةٍ موصدة
وعطورٍ تقتاد العشاقَ من الأنف إلى العُري
وكؤوسٍ تمتدّ حرائقها في الغابِ لآلافِ الأعوام

(3)

هل يكفي رجلٍ وامرأة لحكاية حب ؟
أم يحتاجان إلى قمر
يدهنُ بالنور الجسدين
والى نجمٍ
يَسّللُ تحتَ لحافٍ ،
والى شمسٍ

تضرمُ في الأعشاش النارَ
لتوقظَ من حُلم اللذةِ طيرَين ،
والى جَرَسٍ
يُقرعُ في الباب
إذا القبلةُ
تلصقُ بالصمغِ الإثنين .

4/ تموز / 1998

شموس بلادي

أفتحُ للفجر نافذتي
لتدخلَ غرفتيَ الشمسُ
منقوعةً بالندى والعبير
تُشاركني لقمتي وثيابي
وترتاحُ من رحلة القفز فوقَ الحدود
تتبعني مثلَ طفلٍ
لنبحثَ ـ في زحمةِ الباص ـ
عن مقعدٍ شاغرٍ لكلينا

* * *

وبالرغم من أنني
أستعينُ بقرص الدواء على ألمي
وأني تعوّدتُ وحدي أخوضُ بحار الندم
وأني إذا قصمَ الحزنُ ظهري
أحفر كالصلّ لي مخبئاً في صخور الألم
وبالرغم مما تحرّقَ
في إحتفال الشموع
من السنوات
لكنني لم أزل أترقّبُ
أن تنزلَ الشمسُ للطرقات
وأني أعدّ فراشي لها
وأسقي أواني الزهور على الشرُفات

*** * ***

إيهٍ شموس بلاديَ

لمّا نزل أصدقاء
هنالك من يتربّص
كي يحبسَ النورَ في قفصٍ
ويفصل ما بيننا بجدار
أوصليني إلى أخِرِ العمر
كي أنفخَ الروحَ في الذكريات
أوصلي بسراديب أعمارنا الطرقات
علـّقي في الغصونِ الفوانيس
حتى ليختلط الأمر
فالنور يؤكلُ
والثمرات تضيء

صائدو اللؤلؤ

إلى البحر هم دائماً يذهبون
ولكنهم لا يعودون باللؤلؤة
وفي الليل هم يحملون المويجات
مطوية ًكبساط لزوجاتهم
يجرّون مثلَ المكانس أقدامهم
لتكنس ما نفضته غصونُ لذاذاتِهم في الفِراش
وتبقى البحارُ العصيّة
محبوسة ًفي زجاجات أحلامهم

وتبقى لآلئُها
كالنجوم التي حين تُلمسُ بالراحتين تذوب

* * *

إلى البحر هم يذهبون بأجسادهم
فلو أبطأتْ في الذهاب
ستذهبُ أرواحهم بلباس السباحة
وحتى إذا البحرُ جَفّ
وخلّفَ فوق رمال مطامِحِهم
من حطام السفائن ؛
أشرعةً ، وعظاماً
سيصطنعون بحاراً سواها على طيّة في اللحاف
لكي يبحروا فوق موجة قطن
وفي الصبح
هم يتركون الأسِرّةَ مملوءةً بالمحار

* * *

وفي واقعِ الحالِ
ليستْ هناك بحارٌ
وليستْ هناك لآلٍ
هنالك ثمّ مراكبَ فوق منافض سيكارهم
تبحرُ في موجةٍ من دخان
و ترسو على ضفة من رماد

عُواءُ ذئب في غابة

نحن شهدنا ظهور النبيّ المزيّف
يحجبُ عينيه في خوذةٍ من حديد
في جيبه حفنةٌ من رماد
بها يَدفنُ النائمين
وفي فمه رغوةٌ من ضغائنِه
فغامَ المدى – حين طلّ -
وحاكتْ من المُهَج الساحراتُ - العجائزُ
ثوبَ حداد

وقطّعتِ الشمسُ أسبابَها
وهوتْ كالذبابة
مطفأةً في الوهاد

* * *

أصابعه فوق جلدتنا كالسياط
تبعنا عناكبَه
وأشباحَه ، وهي تسعل في العاصفة
يدوسُ الخطايا ،
فتُطلعُ دغلاً
ويلقي إلى السبعِ حشد الجياع
رجالاته يلعقون الصدأ
ويتخذون العظام سواك
ومثلَ العناكب
يدّرعون بصمغ الشِباك
أضلاعُهم تتفتّتُ تحت دواليب دبابة الغاصبين

على النار أسيافهم
وفوق الصدور نجومٌ ملطّخة بالبصاق
رجال من الطين
لكنّ أضراسهم كالمناشير
تقتطع النسل من جذره

* * *

نحن شهدنا ظهور نبيّ مزيّف
على كتفه حفنة من نجوم
يعبّئُها في بنادقه ـ حين يحتاجها ـ بدل الطلقات
في مقلتيه الضغينة تعصر أهدابه الداميات
يقفز بين القمم
ويلقي الجبال إلى الهاوية
نبيّ على فمِهِ نتنُ الجُثث النافقات
تبعناه نحو النهار ، فتهنا
وقد لمّنا مِزقاً ليذوّبنا بدخان سكائره

ولقننا
فأضاف إلى الجهل شعباً
وعلمنا الحقد فنّا لنأكل بعضاً
وساوى أصابعنا
ليضيعَ الأراذلُ بالخيّرين
إذا ما احترقنا على عرشه ظلّ فرداً
يصبّ صهيرَ المعادن في الحدقات
أب قاتل لبنيه

* * *

أعرفه منذ أن صلبوه
لمّا تزل قبلاتي
مثقوبة فوق راحته
وفوق جراحاته أفرخ الثأر سربَ ذباب
وكان عليّ ترقّبُ رجعتِه
لكنه عاد للثأر من ورقات الشجر

نبيّ يُقيمُ على السّهب صلبانه
وينفخ نيرانه في عيون النيام
فيحرق أحلامهم

* * *

نبيّ بعُزلته الحقدُ يبني تواريخه بالعظام
مدافعُهُ ليس تدوي سوى في المآتم
أمّا صحائفه فرسائل للإبتزاز
أشياعُه يلعقون الدماءَ بأهدابهم
يُطوّبُ منتظريه وقبضته في الخزانة

* * *

حدائق ذابلة
رياح تلملم أسيافها
بعد أن حطمتها سيوف الفتن

ملائكة يتهاوون من تعب
كنديف الثلوج على شرفات الزمن
وثمّة نافذة تتنفس منها عروق البدن
فإياكم والخضوع لسوط النعاس
تعالوا نحرّرْ من الجلد أرواحنا
قبل أن يعتريها العفن
لمّا يعد للأمان وطن
لمّا يعد للأمان وطن

1995

ألبيروقراطيون

للبيروقراطيين الأصلاء
ألنـامينَ على أخشاب مقاعدهم
كالعشبة فوق الأجداث
والمحفوظين ببوتقة الغفوة بالديتول
للبيروقراطيين اغنـي كرهاً
حتى أتمنى أن ألقمَ حنجرتي للكلب

* * *

وزراءٌ بملامحَ من صخر
تُنحتُ بالأزميل بها البسمة
وُكلاءُ وزاراتٍ
تحت مقاعدهم ألغامٌ ، ومصائدُ فئران
ضبّاطٌ بمدافعهم
سقطتْ فوق معاطفهم آلاف الأنجم
مخبولون بتيجانٍ من أكياس النايلون
للبيروقراطيين سأقلع أسناني
كي لا اضحك ممن يشهر دبّوساً
ليحرّر مملكة الجِنّةِ من أسر الذِبّان

* * *

للبيروقراطيين
ألمغموسين مع الكعكة في قدح الشاي
والمنفوخين بمعجنة السلطات بدون خميرة
والمقلوبين بكهف المنصب مثل خفافيش

والمشدودين بأحزمةٍ
كي لا تسقط منهم فيِ الركضة أردافٌ وكروش
للبيروقراطيين تخليتُ عن البيت
لأسكن في مزبلة الجيران
وتخليتُ لهم عن أثوابي
مكتفياً بالنظارات الطبية
وسمحتُ بأن يلقوا في مدفأتي أهلي
كي أدفعَ عنهم نزلاتِ البرد

* * *

حين ينام البيروقراطيون
أتيقظ كي أسترجع أحلامي
فأنا لا أقوى بهزالي
أن أصرع أبطال السومو
القنّاصة بالطلقات يصيدون عصافير الآمال بأعيننا
ألأنهارُ بأوعيةٍ تُعرضُ للبيع

ألجوعى أكلوا الرملَ بملعقةٍ
لم يبق من الليل سوى نجماتَ
تلمع من خجل كثنايا الموتى

* * *

للبيروقراطيين الأصلاء
أتوقف ساعات لتحيتهم
حتى تتهشم كفي
هم عائلةُ كَرَاسٍ ومناضد
تتزاوج مع أجهزة التبريد
كي تنجبَ أغطيةً للنوم

نبوءة

رأيتُ بحلمي المسيحَ (عليه السلام)
فلما تيقظتُ
صارتْ أصابعُ كفيْ قناني عطورٍ
لقد طالَ عَهدُ العناء علينا
حتى استحالَ كلانا نبيّاً
بأثوابه الحمرِ
يمسحُ كان دموعَ الضحى بابتسامة
تبدّدَ خوفي
وأصبح ثوبي مصابيحَ عافيةٍ

فالسماءُ لفرط نقاوتها
أوشكتْ أن تذوبَ على السّائرين

* * *

وكنت عليلاً
فأهلي من سقمي تحت أغطيتي يزحفون
هتفتُ بهم : ان هذا صديقي
أخاديدُ بصمتِهِ فوق صدري لا تمّحي
تخطّى حدودَ الدهورِ
ليمنحني للشفاء ابتسامة

* * *

سمعت لهُدبي رنينَ النواقيس
لكنني لم أنمْ
فالضياءُ الذي أمطرته مهابتُهُ

غسلَ الطينَ عن شفتيَّ ،
وقلبي

*** * ***

غفوتُ ،
ومرّتْ ـ محمّلة ًبالضباب ـ على مقلتيْ قاطراتُ الزمن
ولكنني لم أزلْ أتنقلُ في يَقظتي
حاملاً هالة ًفي الحقيبة
زرعتْ قناني الدواء وحبّاتِهِ في حديقة بيتي
وكسّرتُ نافذتي
مستضيفاً غيومَ الشتاء ،
وأنجمَهُ حول مائدتي
وما عُدتُ أنظرُ خلفي
فسبطانة ُالداءِ لا تنثني
مَضيتُ بدربيَ
أوقِدُ في طرقات الملائكةِ الهائمينَ الشموع

فِراشي حقولٌ
فمِن نُتف القطن
يصعد سربُ الفراشات نحوَ السقوف
لقد كان حلماً
نعم محض حلم
ولكنني لم أزل أتنقّلُ
بين السماء وبيتي
بقاطرة من أثير

1999

نريدُ هواءَ

قوّضوا السقوف
نريد هواءَ
حمّلوا الصقورَ رسائلَ حُبّ
إلى الفئران والأرانب
ملايينُ البشر يحتضرون
ورئاتهم تُحِّلقُ كالمناطيد
نريد هواءَ
أيامُنا معدودة
ستتحوّل الأرضُ إلى كرة بلا لاعبين

قدّموا عروضكم لمناقصة استيراد الهواء
فجّروا حروباً أخرى
أنفقوا أموالكم للتقرب من الملائكة والأنبياء
فالناسُ يهربون بحثاً عن الهواء
أعينهم مثلَ كرات التنس
تتنقل بين مضارب اللاعبين
نريد هواءَ
أثوابنا انتزعت منا ونحن نائمون
كنا نبكي بصمت
كالمسدسات كتيمة الصوت
والقتلة يضحكون كالمدافع

*** * ***

نريد هواءَ
فالغبار والدخان
حجبا الرؤيا ليهرب القاتل

أما الهواء
فقد طاردته الشرطة بسياراتهم وصافراتهم
كلصٍ
أو معارضٍ سياسي
وبأدعيتهم وصلواتهم
حوّلَ خطباءُ المساجد
الأسلحة الممنوعة إلى حلوى
ولطعوا بألسنتهم المباركة سياط الطغاة
لم يُستثنَ أحدٌ من الهاوية
حتى نحن الشعراء
دخلنا إلى السيرك
لنمشي على الحبال التي هيَ أعناقنا

*** * ***

نريد هواءَ
حصتنا الشهرية من الهواء
لا تكفي لآهةٍ واحدة
نريد هواءَ
الأقنعة الواقية من الغازات
لم نخلعْها منذ قرون
وبذلك أصبحنا نشبه القرود
نريد هواءَ
إرفعوا أكفكم عن أنوفنا

نريد هواءَ
أزيحوا دباباتكم ومدافعكم من على صدورنا
نريد هواءَ
إسحبوا بحبالكم النجوم إلى الأرض
نريد هواءَ
فجّروا الديناميت
في كل ما بنيتم من أسوارٍ وسدود
نريد هواءَ
حرّروا الخيولَ من مراهنات السكارى
نريد هواءَ
إمنحوا الأمل جوازَ سفر
نريد هواءَ
إزرعوا بدلَ الدم الأرغفة والصحون
نريد هواءَ
نريد هواءَ
نريد هواءَ

تموز- 2001

إسبانيا في القلب

في (1936)
إندلعتِ الحربُ الإسبانية
منذ ذلك التاريخ ولحدّ الآن
فتَتَتْ قِشرةَ الأرضِ عشراتُ الزلازلِ والبراكين
ونزلَ الآفُ الآلهةِ بدباباتِهم إلى الأرض
ليأكلوا الشوارع
ويتقيّأوا الجثث
شعراءٌ ،
وقادة ،
ورجالُ دين
سَبحوا بإتجاه اليابسة

تاركين أثوابَهم بين أنياب الحيتان
فالأعلامُ التي غرسوها
مازالتْ تنمو وتثمرُ كأشجار الحمضيّات
والشعارات التي ردّدوها
صارت أغاني وسمفونيات
مرَّ الزمنُ سريعاً
كطائرة تهوي على مدينةٍ مأهولة
رأينا نيرودا /
ماتشادو /
لوركا
يدخلون بيوتَنا
وبأياديهم حقائبَ السفر
عندما تقطعت بهم السُبل
وجدوا أبوابنا مفتوحة
لم يكونوا غرباءَ عنا ما دمنا نلبس قمصانَهم
ما زال القمرُ منذ تلك الأيام
مُعلقاً على صدورنا كوسام
تعرضّتِ القصائدُ لسلسلة من المذابح
فبُقرتْ
وذبحتْ

وسُلخت على موائد الظافرين
لكن ما زال البعضُ يَبْري بها أصابعه
والأخرُ يمتطيها ليصعدَ إلى القمر
قتلَ من قتل
وتَشرّدَ من تشرد
وما أبقتِ العثةُ من معاطف جيل (27) سوى الأزرار
لكنّ البيوضَ التي تركوها
مازالت تفقسُ لحد الآن
وبالرغم من إننا نسيرُ على قدمين
إلا إننا نهفو إلى الطيران
قد نبدو في الجموع بشراً
لكننا في الحقيقة لسنا سوى طيور

أسدٌ هارب

أسدٌ هاربٌ في المدينة
لبدتهُ شعلة من لهب
شاهدتها وهي تلتهم الأسيجة .
وواجهت نظراتِهِ كالمحقق تبتزني
فأوشكتُ نسبَ جرائمَ لم أقترفها لنفسي ،
وهزهزني كالبريمة منه الزئير
فغاصتْ إلى الركبتين بيَ الأرصفة

* * *

ما كان ذا خبراً كاذباً في صحيفة
وما هو بالصّرعاتِ
تروّجها الشركاتُ لتنشيط سوق الكَذِب
إنهُ أسدٌ هاربٌ
كتيبة ُجُندٍ
مسلحةٍ ببراثنها والنيوب
ومجرورةٍ للقتال بسلسلة من زئير
فكيف اذن أتنزّهُ في ساحةٍ للقتال ؟
وكيف تُراد الحياة
وقد صار فيها التنفسُ عِبئاً ؟
فإنْ يكُ خلف جداريَ سبعٌ
كأنّي بثوبيَ أحملُ أفعى

* * *

أسد في المدينة
لكنهُ في الحقيقة كان بداخلنا

ترعرعَ من خوفنا
وحين نما نابُهُ
فتحنا له بابَ أجسادنا
ليهربَ منها إلى الطرقات

*** * ***

سنتلفُ أوراقنا
قبل أن تتنفسَ غربتنا الذكرياتِ
سنهربُ مثلَ العناكب
خلف نسيج الشكوك
ونثقبُ جدراننا كالمزاغلِ
نرصدُ ما يتحرّرُ عن نار خيفتِنا من دُخان .
إذا لم تفجّرْ مفرقعةُ الخوفِ أحشاءنا
سيقتلنا ألفُ موتٍ
توالدَ عن واحدٍ مثلما السرطان
فهل هو حقاً ـ كما ندّعي ـ أسدٌ هاربٌ في المدينة

أم انـّا زرعنا بداخلنا شوكةً
فصارتْ لفرطِ السقايةِ غابا

* * *

أسدٌ هاربٌ في المدينة
يقضم أقدامَنا قبلَ أنْ تطأ الأرصفة
فهل سوف يمنحُنا الخوفُ أجنحةً لنطير ؟
إنه أسدٌ واحدٌ
بلبدتِهِ يتخفى قطيعُ أسود
إذا ما غفونا
فأظفارُهُ ستنتّفُ أحلامنا
فمن ذا سيوصلُ أرواحَ من يُقتلون لخالقها بسلام ؟

* * *

لقد اوثقتنا مخاوفنا بالحبال
فليس بمقدورنا قتلُ ذاك الأسد

نخاف إذا ما قتلناه
تسلبُنا روحُهُ بُقيةً من أمان
ومن أجل أن أتحاشاهُ سوف أصادقهُ
سأغلقُ بابي
وأخرجُ عبرَ ثقوبِ المفاتيح كفي لهُ
تُرى هل يصافحُها ؟
أم سيقضمُها ؟

ألاخرس

يحبّكَ القساة
لأنك لا تعترضُ على صفعاتهم

* * *

يحبّكَ اللصوص
لأنهم سرقوا بيتك أمام عينيك
فلمِ توقظِ الحرّاس

* * *

يحبّكَ الحرّاس
لأنك استأمنتهم على دجاجات حقلك

وأنتَ تعلم
بأنّ تحت معاطفهم قطيعاً من الذئاب

* * *

يحبّك الخدمُ والحاشية
لأنك تنازلتَ لهم عن عرشِكَ
وأخذتَ مواقعَهم عند الأبواب
وتحت الأقدام

* * *

كُلّ هذا الحب لا يُطهّر القلوب
فالصابونة لا تزيل الدرن
إذا كان الماءُ قذراً

* * *

أيها الأخرس
ألذي يَحُلّ ويُغادِر كالنسيم

فلا يُحَسّ ، ولا يُرى
وهل يُرى ويُحَسّ الإنسانُ إلا بضجيجه ؟
إحملْ بوقاً وكنْ باخرة
إحمل مدخنة وكن قطاراً
إحمل جرساً وكن كنيسة
إحمل ما شئت
وكن ما تشاء
ولا تحوّلْ أصابعك إلى سبطاناتٍ لرصاصات أعدائك
إنّ صمتَ الأشجار
يحرّض القردة على صعودها
لو كانت الجذوعُ مدافعَ
والأغصانُ سيوفاً
لما تجرّأتْ تلك المخلوقاتُ الممسوخة أن تصبح ملوكاً
يا صديقي
لاتمرّ كالنسمة
إحفرْ أثار قدميك

حتى ليقول من يقتفي أثرك
إن ديناصوراً مرّ من هنا

*** * ***

أيها الأخرسُ
إفتحْ فمك
واسمحْ لفوّهتك المغلقةِ
أن تحرّرَ قذائفها
فالمدفعُ المعطلُ
ليس سوى مكنسة .

ألراعي والملكة

لا تتركيني وحيداً
أخافُ الذئابَ والزوابع
انتظرتُكِ حتى تهشّمَ القمر على الجبال
كزجاجة فارغة
الليلة ستمطرُ السماء
فقلبي مملوءٌ بالغيوم
أنا راعٍ
وأنتِ ملكة
عندما يمرّ موكبك بقريتنا

تنطلقُ المآذن كالصواريخ باتجاه الفضاء
محمّلةً بعشراتِ المؤمنين
فالجنة التي وُعِدوا بها
على بُعد شِبرٍ من شفتيكِ
وُلدتُ وحيداً
أصرخ في البرية
فلا اسمعُ صوتي
لا احدَ يلتفت لنزيفي
لا تتركيني وحيداً
أصارعِ الأشباحَ التي تنحَتُ من خوفي أنيابها
أنا راعٍ
خرافي السواقي والرياح
لي نايٌ
إذا سَددتُ ثقوبَهُ أختنق
عندما أحلم
أغلقُ النوافذَ كي لا تهربي منها .

كانون الأول / 2004

ألضيف

لا تقفْ كالشبحِ أمام الباب
فتهرب مذعورةً منك النوافذ والجدران
النجومِ تتساقطَ على كتفيك كالمطر
والريحُ تئِنّ وهي تحمل حقائبك الثقال
أدرِ المقبضَ ،
وادَخلْ
عشرون عاماً من الصمت في انتظار وقع قدميك

أشعلِ النارَ في الموقد
وعلى رأسك المكلل بالشيب
أدلقْ قدرَ الحساء
وعندما تنعسُ
تسللْ كالثعبان إلى أسِرّة أطفالي
لكنْ لا تلدغِ الأحلامَ التي حَشَوْتُ بها وسائدَهم
لا تخجلْ
فلستَ غريباً
من يطرقْ بابي يصبحْ منّي
حتى إن كان لصاً أو قاتلاً
فشربَ اللصوصُ ستائري
والتهمَ القتلة أهلي
أدخلْ
فالزمنُ له في الرواق رائحةُ عَفن
والظلامُ تكاثفَ عبرَ قرون
متحولاً إلى حجر

لستُ أخشى أن تكونَ لصّاً أو قاتلاً
فعلى حدَقتي عيني انطفأتْ عشراتُ الشموس
لكني أخشى أن تملَّ الانتظارَ
فتغادر
قبل أن يثقبَ رصاصُكَ في جداري
ممراً إلى الأمل .
ألوحدة
آه ـ يا سيدي ـ من الوحدة
سأملأ مسدسي
وأضعُهُ على صدغي
عندما أتأكد بأن الذئابَ واللصوصَ
قطعا على الضيوف الطريقَ إلى بيتي
وسَوّراهُ بالظلام والرعب .

ألعجائز

ألعجائزُ
يُبصرنَ أحلامَهنّ
تحلقُ مثلَ الطيور
ويبصرنَ دون الطيور الحرائقَ
تقضمُ صخرَ المدى والسماء
فليس تخلفُ في الكون غيرَ الحُطام
ولكنها لا تمسُّ الطيورَ التي هي أحلامهنَّ

* * *

ألعجائز أيامُنا الآتياتُ
لذلك يغمرهنَّ السوادُ
ويمنحهنّ الزمانُ ذرائعَ لا تنتهي للكلام
كأنَّ بأفواههنَّ مناحلُ دائمةٌ للعسل

* * *

ألعجائزُ
آخِرُ ما تنتهي له كلّ الحضاراتِ من خرَفٍ وهُزال
لذلك يلقينَ أكفانهنَّ
على شمس عزتهنَّ ، بُعيد انقطاع سلاسلها
وتحطمها فوق صخر الجبال

* * *

ألعجائز
يبنين من حجر الكذب قصراً
يؤثثنهُ بالرماد

ويرفعن راياتهنَّ عليه ملطخة بزيوت الطعام
وحين يجنُّ عليهنَّ ليل المنيّة
يفتحن أبوابه للذئاب

* * *

ألعجائزُ
يفرغن حيرتهنَّ بقنينةِ الأدوية
وتحت خيام الحداد
تُلمِلمُهُنَّ المصائبُ
مثلَ كُراتٍ من الشوك تدفعها الريحُ للهاوية

* * *

ألعجائز
فوق مراكبهنَّ التي
لا تبارحُ وسطَ المحيط مواقعها
يتصيّدن أسماكَ حَيرتهنَّ
بصنارَة الكَبتِ ،

والشهواتِ المضاعة
ولكنهنَّ ـ كما خبَرَ البحرَ ـ راكبُهُ
يتخوّفن ـ رغمِ تجاربهنَّ ـ من الرحلة المقبلة
كأنّ لهيبَ المَحبّةِ لم ينطفيءْ في الثيابْ
وما جفّ في الضرع شهدُ الشبابْ

*** * ***

العجائزُ
تمثالنا الذهبيّ الذي
حولتهُ السنينُ ترابْ .

ألنـهر

أيّها النـهر الوديع
كفراشة في غابة تحترق
ألسماءُ نـادمة
لأنـها تخلت عنك إلى الأرض
أمض كسوط
واجلد الحصى والنـجود
لقد أسلمتك الأرض إلى البـحر
وكنست طعامَك قبل أن تغادر المائدة
تمرّ بنـا كالغريب
لم نكد نـحييك حتى تودّعنا

وعلى أمواجك
تطفوا النجوم كجثث الغرقى
أيّها النهر الذي رافقنا في بيوتنا
من غرفة إلى أخرى
إنّ صمتك هاوية
تبدّد استغاثات الموتى
تنضبُ
وتجفّ
وتبقى كنوزك في الوحل
كل الأنهار التي تقاطعت ـ مع بعضها ـ في الوديان
تكسّرت كالسيوف
قبلك لم يكن للأرض تاريخ
أمَة مُشاعٌ
يدمغ الغزاةُ على بطنها سنابك خيولهم
أمواجُك الهادرة في السّحَر
تحمل ألاف الأجراس
حين تمرّ بمخافر الحدود

يخرج الشرطة لتحيّتك
وسراويلهم بأياديهم كالرايات
يصطادون أسماكك بنظراتهم الجائعة
وب (بيرياتهم)المليئة بالقمل
يشربون نخبك
نقول لك : وداعاً
ومن أعماقنا
نسمع صوت انهيار قلعة أثريّة
لو كان بمقدورنا
لأوثقنا أمواجَك كالخراف إلى جذوع أشجارنا
إذا كنت عازماً على المغادرة
لماذا دخلت البيت
وأتلفتْ أقدامُكَ الموحلة ُالأفرشة
أيّها النهر الضيف
لن أشكو إليك
فليس من اللياقة
أن نوسّخ بأدمعنا مناديل الغرباء

جنوبيّ الأناضول

في نافذتي
خلّفَ جيشُ الغزوِ رماداً
وتناهتْ رنّاتُ القَطعانِ
تسَاقُ مع الأسرى أسلاباً
وزيوتُ شواءِ الغازين
على المرعى ألقتْ رغوةَ صابون
وَشَمَ السلطانُ بأجساد حريم القصر
خرائطَ فتح المدن الإسلامية
والدرويشُ كثور مذبوح يتمّرغ بالرمل
ألمدّاحون على أبواب (الأغوات)

كلّ فريق
يلحسُ وقتَ الجوع دراهمَهُ
ناياتٌ
وصنوجٌ
وذبائح

* * *

لم أزرِ الأناضول
لكن قدمي زلقت فوقَ الأعشاب الجبليّة
وعصاي تخلتْ عني
باحثة في الوادي
عن أقمار ضائعةٍ ونجوم
قرنٌ مرّ على التغيير
وما زالتْ رائحةُ النار
تقودُ الذؤبانَ جنوباً
حيثُ الأرضُ البركانيّة
تنبتُ ـ بعد الغيث ـ خِرافاً

قرنٌ مرّ وما زال السلطانُ
يُحشّد دخانَ الأفيونِ لِغزواتٍ وحروب

* * *

تتوجّه نحو حقول القتل جنوباً
سبطاناتُ الأحلاف
تتوجّه أفواجُ شِمال
معنيّ بحقوق ِغزالِ الرَنـّة
تدّاخلُ ثاراتٌ لتؤسّسَ سُوقاً نفطيّة
مُدنٌ بمصارفها وملاهيها
تزحفُ فوقَ السّرَفِ الحربيّة
آكلة ًأخِرَ ما تركتهُ الحربُ من العُشب .

ذكريات القرى

قربَ المقابر كانت بيوتٌ
من بينـها كان بيتُ صديقي
كنت أزورُ المقابرَ كلّ خميس
عفواً ، أزور صديقيَ كلّ خميس
فتنفثُ نفاخةُ الخوف ظلمتـها في عيونـي
وتصرخ في حَجراتِ الصدى جُثثٌ من هواء
أزحفُ حيناً ،
وحيناً أسير

مخافةَ أنْ أوقظَ الميّتين

* * *

رصدتُ امتدادَ المقابر

حتى انعقادِ نهاياتِها بالسماء

تسافرُ ما بينها للملائكة الحالمين

زوارقُ من مَطر ،

وضباب

رصدتُ نعوشا

تفرّ إذا اغفلَ الدافنون

ومن حولنا بِرَكُ الدمع

يغطسُ فيها إلى الرُكَبِ النائحون

ورغمَ شخير الذين غفوا من ألوفِ السنين

فما زال جَوقٌ من العازفين

تخبّئهُ الريحُ تحت لحاء الشجر .

* * *

وفي تلكم السنوات
رأيت قبورَ الصغار

تهزهزها كالمهود الرياحُ
رأيتُ دمَ الثأر
يصعد في البَرد منه البخار
رأيت الذي حين يمضي إلى موته مُجبراً
تضجّ الحجارة في فمه بالصُراخ
وفي ليلة القرِّ
يَسمرُ حول مواقدنا الميتون
وقد أوهموا النار
أنّ ابتساماتهم زخة من مطر

* * *

بيوتٌ هناك معَ الموت تحيا
فبينهما لغةٌ للحِوار
وبينهما ألفةٌ

وحقوقُ جوار
لقد مرَّ عمرٌ على تلكم السنوات
كبرتُ ،
وضيّعني صاحبي
وضيّعتُ حِملي وأحمالهُ في قطار
ولم تزل الشمسُ
رغمَ برودة ِأعمارنا
تصبّ خمورَ وداعتِها في كؤوس النهار

سعادة الشعراء

بعتُ لأجل الشِعر الدنيا
وتشبّثتُ بأغصانٍ نخراتٍ في الطوفان
علـّقتُ بمسمارٍ رئتي
في نافذةٍ لا يدخلها غيرُ دخان
واستمتعتُ بمعزوفات سُعالي
جرحي لا يتوقف عن نزفٍ
وسحاباتُ همومي تسقي أغراسَ السُعداء
لم أيأسْ ما دامَ فمي قفصاً لبلابلَ

وبنظراتي أتنقلُ عبرَ القارات
ألتفاحُ يموعُ كشمعات في أنية الأغصان
وعلى جَفنيّ
تُلقي الشمسُ التعبى حِملَ الأضواء

* * *

لم اتعبْ بعدُ
العالمُ يلهث خلف قطارٍ من ذهب
وأنا فوق حبال الأفق
أعلقُ جسميَ كالثوب المبلول
أهربُ ..
لكني أرجع طوعاً لقيودي

* * *

من أجل الشعر تخليتُ عن الكنز إلى القرصان

غادرتُ سفيني ، ويدي موثقة
وعلى قبّعتي أعشاشُ عصافير
إذ يخلد رأسي للنوم
يجمع قتلى الحربِ هداياهم فوق وسادي
ثمّ يغيبون بأعماق الأرض

* * *

احزن أني حين تركتُ العرشَ
غدوتُ أميرَ الشحّاذين
لم يُكرهني أحدٌ
أن أتنازلَ عن تيجاني للصعلوك

بيَد ٍواثقة ٍألقيتُ بميراثيَ في محرقة الأموات
وتركت سكارى الحانة يحشون بنادقهم
بذخائر من تفّ وشتائم

* * *

آلافُ الشعراء بقاطرة نشوى
جاءوا من كلّ عصور الشعر
بدون جوازات سفر
مخترقين حدودَ التاريخ ،
وحقلَ اللغة الملغوم
ناياتٌ
و(قياثيرٌ)
وعيون ٌتحجبها من دنيا الأحلام ضبابة
في نافذتي
ألقى (البيّاتيُّ) بياناتِ العشّاق
وصلاحِ الصبّور على فرُشي
داسَ فخلـّف بصمات طيور
نجماتٍ .. نجماتٍ ..نجمات

والسيّابُ بنبلته ثقبَ الشمسَ
فأمطرتِ التيزاب
ورياحُ الغربة من سعدي
نفختْ في العود الشرقيِّ مقامَ (الرست)
يختلفونَ و يتفقونَ على منضدتي
فإذا اتفقوا
تبتلُّ ثيابي برذاذ القبلاتِ
وإذا اختلفوا
يتورّمُ جلدي من ضرب

*** * ***

الشعر أنيسي
ادخلُ في أكنان الظلمةِ
في قلبي فانوسي
وصدى نبضي
يُسمَعُ من خللِ الجدران

شوارع خلفية .. شوارع أماميـة

ألشوارعُ أمهاتٌ
ينجبنَ كلّ يومٍ ملايينَ الأطفال
يُلبسنهم الدخانَ
ويُرضعنهم الإسفلت
وعلى أراجيح الجوع والمرض
يُلقّنّنهم الشتائم
فالثورات التي ستندلع من الأقمطة المتسخة
ستبتلع أصحابها قبل أعدائها

غداً يكبر الأطفال
ويهشمون بمطرقة الضجيج العمارات
فتتذكر الشوارعُ أن الأسمنتَ لا يشيخ
وتعودُ لتنجبَ قتلةً ، وقطاعَ طرق
الشوارع أمهاتٌ من فصيلة الأرانب والفئران
يُنجبنَ كل يوم ملايينَ المعوّقين
وبعدَ سنّ اليأس
يشحذنَ السكاكينَ ، ويَملأنَ البنادق
لا فرقَ
فالجريمة أيضاً تَرضعُ الحليب
منذ عشرات السنين
والطرقُ الخلفية
تضخ للساحاتِ الأماميةِ الفِساح السُمّ والتيزاب
الأمطارُ هي الأمطار
منذ أن بكى الله أول دمعة
على الناس الذين خلقهم
والأنهار هي الأنهار

منذ أن فتح الحزن صنابير الدموع
فمن ترى زرعَ السِفلسَ
وحصدَ الإيدز ؟
ومن جعل للجريمة نسلاً
بفمه يصرخ الدم في البرية : الثأر.. الثأر
الأثرياء يعقمون بالديتول عظام ضحاياهم
قبل أن يودعوها في البنوك

والفقراء يلبسون في أعراسهم جلود موتاهم

وقد ثقبتها العثة
الفريقان يمحوان من ورائهما آثار أقدامهم
ليضعوها أمامهما
لكن ليس من أحد يتخلى عن ظله لسواه
بالرغم من معرفته أن الظل أكذوبة الشمس
هنا الشوارع الخلفية
هنا نبيع الإنسان أحداقاً وأسناناً وأكباداً وكُلى
عظامه مسعّرة بالدولار
آماله وأحلامه وحدها تلقى للكلاب

ميزاننا عادل
الكيلو غرام الواحد من لحم الإنسان
بمثقالٍ من المخدرات
لا نبخس الإنسان فهو رأسمال الجريمة
الدكتاتوريات المقدسة
جعلته قذائف لآلهة الخراب
والعولمة أخرجته من المثرمة معلباً في صفائح
هنا الشوارع الخلفية
بضائع مزيّنة
حبوب زرقاء للجنس الأسود
رجال يبولون ونساء يحبلن
هنا فقط ينصف الإنسان
بدمه تسمّد مزارع الأفيون

صباح الخير أيتـها الوظيفة

في سجن الوظيفة
انعتقت أصابعي من جرّار المكتب
لأنـها حزمةٌ من الضوء
أمّا عينـاي
فقد ضَفرتُ من أهدابهما حبلاً
لأصعدَ إلى النـجوم
كلما نظرتُ إلى الأضابير
صرختُ : " هنـا مقبرةٌ جماعيّة "
لا تسألنـي عن مشاريعي

فالبنادق التي عبّأتُها بالطيور
أطلقتِ البيضَ على النجوم
وصبغتِ الشمسَ باللون الأصفر

* * *

في سجن الوظيفة
أتنقلُ بدراجتي الهوائيّة بين الأضابير
باحثاً عن ثوار لم يلوّثهم ورقُ الكربون
ثوار بقياثيرَ ،
وملابس ممزّقة
يطيرون مستعينين بالأهداب التي هي أجنحتهم
أوطانهم في الأعاصير
وبيوتهم في حقائب السفر
لا يعرفون السراديب
لأنهم ولدوا على الأرصفة

* * *

ألموظفون فقدوا النطق
بعدَ أن ذبحوا ألسنتَهم على منضدة الكتابة
أنا أتحدّثُ بأصابعي
كأنّي أعزف على قيثار
الإنسانُ لا يُحبسُ كالفراشة في المتاحف
ولا يُدفنُ كالمومياء في هَرَم
ما دامَ له فمٌ عليه أن يغنّي
ألأنفاس التي يكبتها
تتحوّل في مقلتيه إلى إعصار
وعندما يبكي
تتحوّل دموعُهُ إلى فوانيس
علمُوهُ أن يغتصبَ الرضابَ عندما لا يجدُ ماءاً

* * *

أيها الوزير
أنت معي في قطار الحالمين

كلانا يغتسل بالمطر
متخذاً الغيمة صابونة
ألفرقُ بيننا أنني أطفوا
بينما تغطس أنت إلى القاع
فقد ألقيتُ نفسي عاريا إلى الماء
بينما أنتَ كالبصلة
تلبسُ عشرينَ معطفاً

ستار الظلمة

أخاف الظلام
فأشباحه أنشبت في عيونـيَ ظفراً
وكي أتحصَّن منـها
فأمضى سلاحِ لديَّ : الـهروب

* * *

أخاف الظلام
لأنـي أرى كل من ودّعوني
إلى موتـهم بسلام

يعودون كي يشهروا الأسلحة
أخاف العيون التي تتحرر من كونكريت الجدار
أخاف الشياطينَ
تلك التي إذ تُسَدّ النوافذ
تخرج من ثقب المملحة

* * *

... وماذا على الأرض غيرُ مخيفٍ
وقد صبغتْ فرشة ُالقهر ما حولنا بالسواد
البيوتُ ظلامْ
العيون ظلامْ
القلوبُ التي سقطتْ في مهاوي الفجيعةِ :
محضُ حطام
وبعد أن انطفأتْ في المدى الشمسُ
صارت على لوح أعمارنا بقعة ًمن سخامْ

أيام العوز

خرجتْ من البرّادِ أسرابُ الطيور
وعلى الأرائك نفّضتْ ما حُمّلتْ من ثلج
بدأ الشتاءُ من النوافذ باصطفاقِ الأجنحة
وامتدّ كي ما يغمر الغابات
وتسارعت أيامنا
تدوي كقاطرة
وتبتلع الجبال
كنّا صغاراً

غير انـّا قد تيقـظنا وعكازاتنا جنبَ الأسرّة
وعلى كواهلنا الحطام
حطامُ ما كسرته مطرقةُ السنين

* * *

هم إخوة
وتبادلوا ما بينـهم ـ سنـة المجاعة ـ
خبزَهم وثيابَـهم
لكنـهم يتفرّقون اليومَ أعداءاً على جبهات
وغدا
سيرجع بعضـهم
لكنّ حُوتَ الحرب قد بلعَ الجميع
يا صاحبي
ما قيمة الذهبِ المكدّس والحقول ؟
إذا الغيوم السودُ تقطرُ من يبيسات الغصون
أوطاننا قطعان ريح عاويات

ثلجٌ
وأمطار
وأسرابٌ مهاجرةٌ
تزيح ستائرَ الغيماتِ
ثمّ تغيبُ فيها .

شباط / 1999

خرائط لمدن الأحلام

في كأسيَ الفارغةِ إلا من فضلةِ أمل
أسكبُك وأشربُكِ
فشفتاك ملعقتا عسل
من أين جئتِ بهذا الرحيق ؟
النحلاتُ عادتْ من الحدائق بالبارود
بعد أن خدعتها الحروبُ
بأنّ النارَ ورودٌ
والمدافعَ أغصان .
قبلك لم أعرف من أنا

عندما أُسألُ عن اسمي
أقول للغرباء : أجيبوا
ذات يوم ضعتُ
فطلبتُ من الجدران أن توصلني إلى البيت
أخيراً جئتِ
فصار للفجر عائلة وأصدقاء
صار للكلمة رائحة
وللأغنية عينان
سآخذ الأنهارَ والأرصفة في نزهة
وأتركُ الفوانيسَ المطفأة تنادم السكارى
أين كنتِ قبل اليوم ؟
كل الكنوز التي فتحتها
سبقني إليها اللصوص
الخرائط بحوزتي
لكنني أفتقدُ البوصلة
ألاف الأحلامِ فاجأتني وأنا مستيقظٌ
فركضتُ للنهَر والنارُ في ثيابي

رئتاي منطادان
يُحلـّقان فوق القاراتِ والمحيطات
أنظرُ إليكِ
كما ينظر الأعمى إلى الشمس
جسدي يرتجف تحت أمطار الأمل
فأنا أوّلُ أعمى يستعيد البصر
بدونما سَحَرَةٍ ولا جرّاحين .

عودةُ سُفن تائـهة

قبلَ قرون
غطستْ في قيعان البحر سفائنُ حربية
وبلا نُذرٍ
عادتْ تطفو بموانـيءَ أوربيّة
في مُفتتحِ القرنِ الحادي والعشرين
وترجّلَ منـها جيشٌ حيٌّ
لم يقضمْ تنينُ الأعصُرِ من عُدّتِهِ شيئاً
إلا عُوّضَ عنه أضعافَ زياداتٍ في الأعمار

* * *

كانت أسيافُ البَرَدِ تُعبّيءُ أشلاءَ ضحاياها
بمعاطفَ من صوف
وسُكارى المدن العمياء
مثلَ سحائبَ من بَقّ تحجبُ إعلاناتِ الأضواء
ألافُ الأشجار الصلعاء
تُمشّطُ كانت في مرآة الأسفلت ضفائرها
والجيشُ العائدُ حيّاً من بحر الماضي
خدعتهُ الأضواءُ فظنّ السياراتِ قطيعَ أسُود
ألجيشُ العائدُ يصرخُ في القمر الشاحب :
وحدك لم تُشفَ من الداء

* * *

ألشرطيّ ابتلعَ – خلالَ النوبةِ – صفارته
فتراءَتْ زوجتُهُ في النوم له جرّافةَ أنقاض
وعلى المسرح
غالتْ راقصةَ في العُريِ

فانتزعتْ من مقلتها عينُ زجاج
ألقاتلُ ينشرُ في الأنترنيت جراثيمَ الموت السرية
وبحكمتِهِ العلميّة
ينسبُ للأيدز جرائمَهُ
ألقاتلُ في قدح الشاي الساخن
يُغرقُ سُفنَ المحتجّينَ
بمجرى الماءِ الآسِن
ألقاتلُ في (نادي الصَفوةِ)
يعرضُ مبتكراتِ القتلِ الأمِن
والجيشُ الخارجُ من بحر الماضي حيّاً
حبسوهُ بثلاجة موتى
كي تجمُدَ للقرن الأتي
أخطاءُ الوضعِ الراهنْ

ترميمُ قلوبنا الكسيرة

نفتحُ أبوابَ قلوبنا لهم
فيدخلون مثلَ غيماتٍ من العَبير
وعندما يلقون من همومهم ما حُمّلوا من صخر
يغدون من خفتِهم كالأثير

* * *

أولادُنا يرمّمُون (قلبنا المكسور)
ويفتحونَ ثغرةً بعُمرنا للنور
يُبرّدونَ جَمرَنا

ومن خرير الدمعِ في عيوننا
يلحّنون غنوةَ الألمْ
وعن وجوه القمر الغافي
يُزيحون سِتارةَ الندَمْ
فليطفئوا المصباحَ
كي لا يُرهِقَ القيثارةَ النغم
وليُكرمُوا الليلَ بنومٍ حالمٍ
فوقعُ خطوهم على الأرض ضحىً
يَرُدّ للموتى النَسَمْ